تفاعل البنية النحوية والبلاغية في الكتاب لسيبويه.

The grammatical and rhetorical analysis in Sibawayh's book

***نورية بلغيت**

مخبر المعالجة الآلية للغة العربية

جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان،(الجزائر)، belghitnouria@gmail.com

أ/د عباس لعشريس

المركز الجامعي مغنية،(الجزائر)، ibnjini1976@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:09 /2020/09 تاريخ القبول: 2021/10/06 تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص: تنطلق هذه الدراسة من حقيقة مفادها أنّ النّحو بين يدي سيبويه لم يكن مقصورا على تتبّع حركات أواخر الكلمات، وإنّما تعدّى ذلك في الكثير من المواضع ليرتقي إلى دراسات أسلوبيّة بلاغية تتجاوز الكلمة والتركيب إلى نظم الكلام، وفيه نظرات ثاقبة حول تحكيم المعنى في ضبط الكلام وتفاوت مستوياته حسنا وقبحا، واستقامة وإحالة، وفيه أفكار بليغة متبصّرة في استنطاق ظروف المتكلّم والمستمع واستدعاء للمقام المرافق للمقال، فالأفكار البلاغيّة منثورة في أركان الكتاب قد خالطت الأفكار النّحويّة واعتلقت بها في كلّ باب.

يحاول هذا البحث الاجابة على التساؤلات التالية: كيف عالج سيبويه المسائل النّحوية التّركيبية في كتابه؟ وأين تجلت صلة النحو بالبلاغة في تحليلاته للتراكيب؟ وكيف استفاد منها البلاغيون بعده؟ وقد ظهر جليا في هذه الدراسة الصلة الوثيقة بين النحو والبلاغة في معالجة سيبويه للتركيب النحوي، كما أن كثيرا من مسائل الكتاب أصبحت فيمابعد أبوابا في كتب البلاغيين.

الكلمات المفتاحية: النحو؛ البلاغة؛ التركيب النحوي؛ الكتاب لسيبويه؛ عبد القاهر الجرجاني.

Abstract: This study proceeds from the fact that Sebawayh's grammar wasnot limited to tracking the movements of the end of words, but went beyond that in many places to rise to rhetorical stylistic studies that go beyond word and structure to speech systems, and it contains insights into the arbitration of meaning in controlling speech and its varying levels, good and ugly. It contains eloquent and insightful ideas in examining the circumstances of the speaker and listener and invoking the place accompanying the article. Rhetorical ideas are scattered in the corners of the book that have mixed grammatical ideas and got caught in every chapter.

This research attempts to answer the following questions: How did Sebawayh treat syntactic issues in his book? Where is the link between grammar and rhetoric manifested in his analyzes of structures? And how did the rhetoricians benefit from it after him? It was evident in this study that the close link between grammar and rhetoric in Sebawayh's treatment of grammatical structure, and that many of the book's issues later became doors in the books of rhetoricians.

Keywords: Grammar, Rhetoric; Syntactic Grammar; The Book of Sebawayh; Abdel-Qaher El-Gurjani

***المؤلف المرسل**: نورية بلغيت ، **الإيميل**: belghitnouria@gmail.com

1.مقدمة:

تناول بعض النّحاة العرب العديد من الظّواهر الأسلوبيّة – حسب الاصطلاح الحديث- وبحثوا في الافادات والمقاصد البلاغية المترتّبة عنها، حيث كان لكثير منهم اهتمام كبير بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها البلاغيّة، وتعود البدايات الاولى

لميلاد هذا المنحى البلاغي النّحوي إلى عصر سيبويه (ت 180 هـ)، لتمتدّ بعد ذلك حتّى عصر المتأخّرين عنه من أمثال الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ).[1]ويعدّ كتاب سيبويه أهمّ مصدر يُعتمد عليه في دراسة اللغة وأساليبها إذ جمع بين طياته جملة من القضايا التي تتعلق بالتركيب بدءا من كونه فكرة تختمر في نفس المتكلم وتتقد في ذهنه، إلى أن يتمّ تشكيل الأصوات، ومن ثمّ تأليف الكلمات والجمل، وأخيرا ربطه (التركيب) بمقتضيات الحال والملابسات المقامية التي تطرأ عليه أو تلفّه، فكتاب سيبويه جاء جامعا لدراسة الأصوات، والصرف والنحو، والبلاغة.

إذا كان كتاب سيبويه ترجع أهميّته العظمى عند الأقدمين لما حوا من قواعد نحويّة حافظت على سلامة اللّغة العربيّة على مرّ العصور، فإنّه تحليل رائع للتّراكيب النّحويّة وأسرارها البلاغيّة " فقد أدرك سيبويه أنّ الخبرة بتراكيب اللّغة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض الّتي تعبّر عنها، أو بعبارة أخرى أنّ هناك ارتباطا قويّا بين ما يسمّى بالتّراكيب وما يسمّى بالمعاني والأفكار"[2]،ولا يجد الباحث المتصفّح للكتاب عناء يذكر في التقاط الكثير من الأبواب والأنظار الّتي أصبحت فيما بعد أبوابا بلاغيّة لا تكاد تغيب عن الكتب البلاغيّة المتخصّصة عبر القرون و قد ظهر بوضوح أنّ النّحو بين يدي سيبويه لم يكن مقصورا على تتبّع حركات أواخر الكلمات و إنّما تعدّى ذلك في الكثير من المواضع ليرتقي إلى دراسات أسلوبيّة تتجاوز الكلمة إلى الجملة و الجمل و نظم الكلام، وفيه نظرات ثاقبة حول تحكيم المعنى في ضبط الكلام و تفاوت مستوياته حسنا و قبحا، واستقامة واحالة، وفيه أفكار متبصّرة في استنطاق ظروف المتكلّم و المستمع واستدعاء للمقام واستدعاء الحال، فالأفكار البلاغيّة منثورة في أركان الكتاب قد خالطت الأفكار النّحويّة واعتلقت بها في كلّ باب، فسيبويه أدرك معنى نظم الكلام، والنحو عنده لم يكن مجرد إعراب لأواخر الكلام بل كان والبلاغة صنوان، والتقت البلاغة بالنحو في تحليلاته لتّراكيب النحوية، فألقى بذلك بدورا طيبة في علوم البلاغة نمت وترعرعت بمرور الزمن على أيدي علماء البلاغة حتى بلغت تمام النضج على يدي عبد القاهر الجرجاني الذي استقى كثيرا من مباحث التّراكيب من كتاب سيبويه كالتّقديم والتّأخير والمجاز بالحذف والمجاز العقلي.

فكيف عالج سيبويه المسائل النحوية التركيبية في كتابه؟ حتى ظهرت جليا خبرته بتراكيب اللّغة وبالأغراض الّتي تعبّر عنها؟ وكيف استفاد منها البلاغيون بعده؟ للإجابة على هذين السؤالين الجوهريين حاولنا دراسة بعض المسائل من الكتاب دراسة وصفية تفسيرية لننبه على أن سيبويه وإن تكلّم في النّحو فقد عرج في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أنّ الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب ونحو ذلك، فالبحث هدفه إبراز جهود سيبويه وإعطائه حقه الريادي ودوره في اثراء البحث النحوي البلاغي. ومن المسائل التي تبرز ذلك ما يلي:

2. الاستقامة والإحالة في الكلام:

في الأبواب الأولى من الكتاب مزج سيبويه بين النحوي والمستوى الدلالي للعبارة اللغوية وهذا المزج مؤداه تأثير الدلالة أو المعنى – في كثير من الأحيان – على بيان وظيفة الكلمة أو الجملة نحويا ومن ثم الحكم بصحة تلك الجملة أو خطئها باعتبار معيار الدلالة – وإن صحت على المستوى النحوي الأول – فلقد عُدَّ المستوى الدلالي أو بصفة خاصة المعنى "ملحظا ثابتا يفزعون إليه ويصدرون عنه في التفسير النحوي وخاصة إذا تخلّف التفسير على المستوى النحوي الخالص"[3]، يقول في "باب الاستقامة من الكلام والإحالة":فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا، وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس. وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه. وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[4]، فسيبويه من

خلال هذا النص يحدد الأنماط التي يكون عليها التركيب بالنظر إلى مستويي الصحة النحوية والسلامة الدلالية مع التمثيل لذلك، حيث إنّ بنية العبارة اللغوية تتأثر بالمعنى الذي تحيل إليه وتصدر عنه، والكلام المستقيم عند سيبويه يراد به كما قال السيرافي (368هـ):'' الذي لم يكن في لفظه خلل من جهة اللغة والنحو والذي يكون جائزا في كلام العرب دون أن يكون مختارا ''[5] أما صفاته فهي ثلاثة: فإما أن يكون حسنا، أو كذبا، أو قبيحا.

1.2 **المستقيم الحسن**: وهو قولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً. وقُيِّد بالحسن، وهو المختار من كلام العرب، وهذا يفهم منكلام أبي سعيد السيرافي عند تعريفه للمستقيم بقوله'' وأيضا الذي يكون جائزا في كلام العرب دون أن يكون مختارا.''[6] وهذا الكلام المستقيم الحسن يكون مستقيما من الناحية النحوية، وحسنا من الناحية الدلالية؛ بمعنى أن هذا النوع'' جمعَ السلامة النحوية قياسا واستعمالا، والحسن دلاليا؛ بحيث تخلق بمزايا تركيبية ودلالية، من نحو بناء نحوي سليم، ووضوح الدلالة، وعدم مخالفة مضمونه.'' [7]

2.2 **المستقيم الكذب**: كقولك حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه. يقول السيرافي:'' والكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به. ''[8]ويقول العسكري ''وأما قولك: حملت الجبل وأشباهه فكذب، وليس بمحال، إن جاز أن يزيد الله في قدرتك فتحمله.''[9]

3.2 **المستقيم القبيح**: وهو أن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيد يأتيك، أشباه هذا. وأما وجه استقامته فهو عدم اشتماله على اللحن (جاء الفاعل مرفوعا والمفعول به منصوبا) ووجه قبحه هو إنما هو وضع اللفظ في غير موضعه وهو خارج عن القياس، يقول العسكري "وإنما قبح؛ لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير[10]"

لقد تأثر الجرجاني بتحليلات سيبويه في هذا الباب من ذلك إشارته، في غير ما موضع من دلائل الإعجاز، إلى ما يساوي "المستقيم الحسن" عند سيبويه كقوله "اعلم أنْ ليسَ ''النظمُ" إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يقتضيه "علمُ النحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظ الرُّسومَ التي رُسِمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها. وذلك أنَّا لا نَعلم شيئاً يبتغيهِ الناظمُ بنَظْمه غيرَ أنَ ينظرَ في وُجوهِ كل بابٍ وفُروقهِ"[11]، فقوله " لا تخل بشيء منها " دال على الاستقامة، أما النظر و التدبر في الفروق التي يتيحها علم النحو وتخير الوجوه بحسب الأغراض، فهو الذي يحقق حُسن الكلام ،ويمكن عَدُّ باب (الاستقامة من الكلام والإحالة) من كتاب سيبويه من الإرهاصات المبكرة لنشأة علم البلاغة عامة وعلم المعاني خاصة، ذلك أنه من يطالع كلام الإمام في هذا النص يجد حديثه عن التركيب حديث العارف بأسراره، و" يعرفُ أنه كان حاذقا في التمهيد لكتابه بمباحث تعد الأساس في البحث النحوي؛ لينفذ منها إلى ما هو أكثر تفصيلا، وذلك بالانتقال من موضوعات التركيب إلى بيان مواقع أجزاء الجملة وعلاقاتها بعضها ببعض"[12].

4.التقديم والتأخير في التركيب:

أولى سيبويه لقضية الترتيب عناية كبيرة لارتباطها بأغراض المتكلم وما يريد إيصاله إلى السامع من رسالة لغوية، فالتقديم عنده على ضربين: تقديم له غرض مع بقاء الحكم النحوي واحدا (جرى اللفظ كما جرى في الأول)، وتقديم له غرض مع تغيير الحكم الإعرابي للكلمات، يقول: "فإن قدّمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدّما، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون فيها مقدّما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن

كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم".[13]فما يسوّغ التقديم والتأخير في عناصر الجملة هو إرادة المتكلم، وعلى الرغم من أنّ عبد القاهر لم يستحسن فكرة ربط ترتيب عناصر الجملة بغرض واحد هو **"العناية والاهتمام"** – كما عبر عن ذلك سيبويه –، إلا أن سيبويه لجأ إلى تفسير ما يعرض لتلك العناية والاهتمام من وجوه مختلفة حيث نجده قد "ربط بين عمل العامل أو إهماله، وبين الأغراض البلاغية والمعاني البي يريدها المتكلم كما في باب ظن إذ يقول (**فإن ألغيت: قلت عبد الله أظن ذاهب ، وهذا أخاك أخوك وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى و كل عربي جيد ...و إنما كان التأخير أقوى ، لأنه إنما يجيئ بالشك بعدما يمضى كلامه على اليقين أو بعدما يبتدأ و هو يريد اليقين ثم يدركه الشك** .) فالتقديم في هذا الموضع ليس للعناية و الاهتمام و إنما لغرض بلاغي آخر ، فإهمال العالم ليس مجردا من الإرادة والقصد بل تنطوي وراءه غاية معنوية"[14]، فنظرية العامل التي تُعدّ صلب النحو العربي نجد سيبويه لا يخلو أن يربطها بجملة الأغراض و المعاني البلاغية التي يريدها المتكلم ، والمتكلم يختار من الألفاظ والعبارات ما يوصله إلى المعنى المطلوب، ووسيلته في ذلك الإعمال بالرفع أو الجر أو النصب وغيره أو الإلغاء ،يقول سيبويه في "باب الأفعال التي تستعمل وتُلغى: "فإن ألغيت قلت: عبد الله أظن ذاهبٌ، وهذا إخال أخوك، وفيها أُرى أبوك، وكلّما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى ... وإنما كان التأخير أقوى لأنه إنما يجيء بالشك بعدما يمضي كلامه على اليقين، أو بعدما يبتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك، كما تقول: عبد الله صاحب ذاك بلغني، وكما قال: من يقول ذاك تدري، فأخّر ما لم يعمل في أول كلامه، وإنما جعل ذلك فيما بلغه بعدما مضى كلامه على اليقين وفيما يدري. فإذا ابتدأ على ما في نيته من الشك أعمل الفعل قدّم أو أخّر، كما قال: زيدا رأيت، ورأيت زيدا"[15]، فإهمال عمل الفعل "يرجع إلى معنى قائم في النفس، أو إلى طبيعة الأفكار وترتيبها في ذهن المتكلم؛ إنه يبتدئ كلامه وهو يريد اليقين، ثم يدركه الشكّ، فيقول: أظن وبهذا تكون الوظيفة المعنوية للعامل غير متعلقة بالمعمولين، وإنما هي كلام مستأنف أو معترض، كأنه قال: هذا مني ظن أما إذا ابتدأ كلامه على ما في نيته من الشك، فإن ذلك يوجب إعمال العامل سواء أتقدّم على معموليه أم تأخر عنهما"[16]، وهكذا يمضي سيبويه في تتبع الأمثلة – على تنوعها – ليؤكد أن الإعمال أو الإلغاء تابع للغرض والقصد لا مجرد قواعد تحكمية صارمة تخضع لها اللغة فهو "يجمع في كتابه بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق، ولا يقف عند الجانب اللغوي الخالص المنسجم مع نظرية العامل بل يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تُستعمل فيها، وما يلابس هذا الاستعمال في حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام ... وغيرها"[17].و هذا مما تبحث فيه البلاغة

من الأبواب التي يُراعى فيها ترتيب عناصر الجملة لأغراض بلاغية "باب أم إذا كان الكلام بها بمنزلة أيّهما وأيهم"، يقول: "وذلك : أزيدُ عندك أم عمرو، وأزيدا لقيت أم بشرًا؟، فأنت الآن مدّع أنّ عنده أحدهما ... واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن، لأنك لا تسأله عن اللقى، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو، فبدأت بالاسم لأنك تقصد قصد أن يبين لك أيَّ الاسمين في هذا الحال، وجعلت الاسم الآخر عديلا للأول، فصار الذي لا تسأل عنه بينهما، ولو قلت: ألقيت ولو قلت: ألقيت زيدا أم عمرا كان جائزا حسنا، أو قلت: أعندك زيد أم عمرو كان كذلك، وإنما كان تقديم الاسم هاهنا أحسن ولم يجز للآخر إلا أن يكون مؤخرا، لأنه قصَد قصدُا أحد الاسميين فبدأ بأحدهما، لأنه حاجته أحدهما"[18].فسيبويه، فيبرر بنية التركيب بما يعرض عليه من تغيرات في نظام التركيب من حذف وذكر، أو تعريف وتنكير أو تقديم وتأخير ... وغيره، إنما هو تابع لما ينطوي عليه المتكلم من أغراض ومقاصد باطنة تُعرف بالقرائن كما يرفض كلّ ما يؤدي إلى اللبس كونه مما يُخل بأغراض المتكلم، ومن ثمّ يحصل التشويش على فهم المخاطب للكلام، فلا تُجنى الفائدة لديه وتتعطل عملية التبليغ والإفهام. والتقديم والتأخير من القضايا التي تناوبها البلاغيين وأفاضوا فيها، وقد كان سيبويه أول من طرق بابها.

5.التعريف والتنكير:

راعى سيبويه عند رسم معالم النظرية النحوية، ووضع قواعدها حال المخاطب، وتمثل مبدأ الفهم والإفهام ومراعات مقتضى الحال وعدم الالباس[19]. يقول سيبويه: "ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس، وهو النكرة. ألا ترى أنك لو قلت: كان إنسان حليما أو كان رجل منطلقا، كنت تلبس، لأنه لا يُستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدؤوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللبس"[20]، فلا يجوز أن يبدأ المتكلم بما هو ينكور المخاطب، لأن ذلك سيؤدي إلى اللبس وعدم الإفهام فيبدأ كلامه بما هو معروف عند المخاطب، ثم يخبر عنه بما يريد توصيله[21]ويقول: ‘‘إذا قلت عبد الله منطلق تبتدأ بالأعرف، ثم تذكر الخبر ، وذلك قولك: كان زيد حليما ، و كان حليما زيد ، لا عليك أقدمت أم أخرت ،إلا أنه على ما صفت لك في قولك : ضرب زيد عبد الله ، فإذا قلت :كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده ، مثله عندك ، فإنما ينتظر الخبر "[22]، يقول سيبويه في "باب تخبر فيه عن النكرة بالنكرة": "وذلك قولك: ما كان أحد مثلك، وما كان أحد خيرا منك، وما كان أحد مجترئا عليك، وإنما حسُن الإخبار هاهنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه؛ لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تُعلمه مثل هذا، ولا يجوز لأحد (أحد) أن تضعه في موضع واجب، لو قلت: كان أحد من آل فلان، لم يجز؛ لأنه إنما وقع في كلامهم نفيا عاما يقول الرجل: أتاني رجل، يريد واحدا في العدد لا اثنين، فيقال: ما أتاك رجل، أي امرأة أتتك"[23]، فالإخبار بالنكرة عن النكرة حاصل بوجود غرض معين، وهو هنا نفي المِثل والخيرية والاجتزاء.

هذا يبين لنا معرفة سيبويه العميقة بخصائص الكلام عند العرب في مختلف أحواله حواله ومقاماته، فمن ذلك الابتداء بما هو معروف وبما عليه يأتي ذكر الخبر وإعلام المخاطب، مثل ما يعلم به المتكلم، وعدم استقامة إخبار المخاطب عن شيء ينكره، لأن ذلك لا ينزله منزلة المتكلم في المعرفة وبالتالي لا تتم الفائدة [24] فنجد سيبويه يتحدث عن تعريف المسند و المسند إليه في شتى صنوف التعريف، ويتعرض إلى تنكيره، ثم يذكر الخبر، و يعتبر المسند إليه أصل الكلام، ويعالج مسألة تقديمه وتأخيره، ويدعو إلى التمعن و إجالة الفكر في تنكيره،[25] و هذا الباب الذي أفرده سيبويه للمسند إليه و الخبر ، هو الباب الأول وهو نفسه الباب الثاني والثالث عند **السّكاكي** وتختلط به أبواب أخرى.[26] وبهذا يبدو جليا كما يقول عبد القادر حسين: "أن النسق الذي أخذ به سيبويه هو الذي ألهم علماء المعاني فكرة انحصار مباحثه في أبوابه الثمانية المعروفة وليس يسع المرء وهو يقرأ كلامهم في ذلك إلا أن يتبين اقتباسهم منه واقتداءهم به". [27]

في "باب الاختصاص" يقول: "واعلم أنه لا يجوز لك أن تُبهم في هذا الباب فتقول: إن – هذا – أفعل كذا، ولكن تقول إني – زيدا – أفعل، ولا يجوز أن تذكر إلا اسما معروفا؛ لأن الأسماء إنما تذكرها توكيدا وتوضيحا هنا للمضمر وتذكيرا. وإذا أبهمت فقد جئت بما هو أشكل من المضمر، ولو جاز هذا لجازت النكرة، فقلت: إنّا قومًا، فليس هذا من مواضع النكرة والمبهم، ولكن هذا موضع بيان كما كانت الندبة موضع بيان، فقبح إذا ذكروا الأمر توكيدا لما يعظمون أمره أن يذكروا مبهما"[28]، ذلك أن الإتيان بالمبهم في هذا الموضع (الاختصاص) يبطل الغرض ويفسده، فالغرض هنا توكيد المضمر وتوضيحه والتذكير به والإبهام يتنافى وإياه (الغرض)، ولهذا قبح عندهم (العرب) إذا "ذكروا الأمر توكيدا لما يعظمون أمره أن يذكروا مبهما"، فقد عرف العرب مواضع الكلام وأغراضه فجاءت أساليبهم التعبيرية متوخية لتلك المعاني التي أرادوها بالسليقة والفطرة ليس أدلّ منها على الحكمة المنسوبة إليها.[29] واضح من هذا أن سيبويه قد طرق باب التنكير وبين بعض أعراضه، كما طرق باب التعريف، وغيره من الأبواب البلاغية التي كانت الأساس الذي بنى عليه البلاغيون مباحثهم .

6. الحذف في التراكيب:

يرجع سيبويه الحذف الذي تتعرض له عناصر التركيب إلى الأغراض البلاغية و المعاني التي تقع في خلد المتكلم ومن ثم يتم وضع الكلام بحسب ذلك، فجواز الحذف وعدمه مرهون ومشروط بالمعاني و الأغراض دون غيرها، يقول في "باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين": "وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر، وذلك قولك: حسب عبدُ الله زيدا بكرا، وظن عمرو خالدا أباك ... وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين ههنا أنك إنما أردت أن تبين ما استقر عندكم من حال المفعول الأول، يقينا كان أو شكّا وذكرت الأول لتُعلم الذي تضيف إليه ما استقر عنك من هو، فإنما ذكرت ظننت ونحوه لتجعل خبر المفعول الأول يقينا أو شكّا، ولم تُرد أن تجعل الأول فيه الشك أو تقيم عليه اليقين"[30]، فسبب عدم الاقتصار على مفعول واحد في الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين نقض الغرض الذي جيء من أجله بالكلام، وهو تبيين ما استقر عندك من حال المفعول الأول للمخاطب [31]ومثله كذلك إضمار الفعل كقوله: "وذلك قولك: زيدا، وعمرا ورأسَه. وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم، أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيدًا؛ أي أوقع عملك بزيد، أو رأيت رجلا يقول: أضرب شرّ الناس، فقلت زيدًا أو رأيت رجلا يحدث حديثا فقطعه فقلت: حديثَك، أو قدِم رجل من سفر فقلت: خيرَ مقدم، استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبر، فعلى هذا يجوز هذا وما أشبه"[32]، فلا إضمار ما لم يتبين غرض المتكلم وقصده للمخاطب، ليتم له التأويل الصحيح للخطاب وعلى هذا أجاز سيبويه إضمار فعل الغائب لالتباسه وظن السامع غير المراد، يقول: "فلا يكون أن تضمر فعل الغائب. وكذلك لا يجوز: زيدا وأنت، تريد أن تبلغه أنا عنك أن يضرب زيدا؛ لأنك إذا أضمرت فعل الغائب ظن السامع الشاهد إذا قلت: زيدا، أنك تأمره هو بزيد، فكرهوا الالتباس هنا ككراهيتهم فيما لم يؤخذ من الفعل نحو قولك: عليك، أن يقولوا: عليه زيدا لئلا يشبه ما لم يؤخذ من أمثلة الفعل بالفعل"[33].ويقول سيبويه في إضمار الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف: "الناس مجيزون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، والمرء مقتول بما قتل به إن خنجرا فخنجر، وإن سيفا فسيف. ونجد قوله: أن ترى الرحل أن تخبر عنه أنه قد أتى أمرا قد فعله فتقول، أكل هذا بخلا أي أتفعل كل هذا بخلا، أي أتفعل كل هذا بخلا وإن شئت رفعته فلم يحمله على الفعل، ولكنك تجعله مبتدأ، و ‘نما أضمرت الفعل ههنا وأتت مخاطب لأن المخاطب المخبر لست تجعل له فعلا آخر يعمل في المخبر عنه، وأنت في الأمر للغائب قد جعلت له فعلا آخر يعمل كأنك قلت له ليضرب زيدا وقل له اضرب زيدا أو مره أن يضرب زيدا فضعف عندهم مع ما يدخل من اللبس في أمر واحد أن يضمر فيه فعلان لشيئين"[34]،فالحذف في هذه الأقوال متروك لفهم المخاطب ومدى كفايته في تقدير المحذوف الذي يمثل واقعا حيا قام به المخاطب عملا متمثلا.ويقسم سيبويه إضمار الفعل على اعتبار الأغراض والمقاصد إلى ما يلي:«فعل مظهر لا يحسن إضماره، وفعل مضمر مستعمل إظهاره، وفعل مضمر متروك إظهاره"[35].

الأول: فعل مظهر لا يحسن إضماره، وذلك حين يفتقر المخاطب لمعرفة ما أراده المتكلم أو ما يشير إليه، بمعنى أن الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث الكلامي لا تدلّ على أغراض المتكلم إن أضمر، وإنما تؤدي إلى وقوع اللبس والإبهام، ومن ثمّ تنتفي الإفادة المتوخاة، وقد مثّل سيبويه لذلك بالرجل الذي يجهل الخبر أو لا يقع في خاطره البتة "فعل ما"، فلا يجوز أن نضمر له دون تبيين المعنى المراد، وذلك "**أن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضرْب، ولم يخطر في باله، فتقول: زيدا، فلا بدّ له من أن تقول له: اضرب زيدا**".[36]

الثاني: فعل مضمر مستعمل إظهاره، إذ إنّ المخاطب يكون عارفا بالفعل، وبالسياق الذي يحيط بالمتكلم أثناء أداء خطابه، فيفهم السامع المعنى بالإضمار، ولا يترتب عن ذلك وقوعه في اللبس وذلك نحو "**قولك: زيدا، لرجل في ذكر ضرب، تريد: اضرب زيدا**".[37]

الثالث: فعل مضمر متروك إظهاره، وهذا الفعل قد تكلمت العرب بإضماره لأداء دلالات معينة، واستغنت عن الإظهار لاستيفاء المعنى ووضوحه بدلالة اللفظ المذكور "**فاختُزل الفعل لأنه صار بدلا من اللفظ**"[38]، ويدخل ضمن هذا القسم المصادر التي جاءت منصوبة كقولنا: سقيا لك، وتبّا لك وحمدا ... إلخ.

فسيبويه في تناوله المحذوفات كان سباقا إلى معرفة أغراض الحذف البلاغية، فقد دل على أن المتكلم يلجأ إليه تارة للتخفيف وتارة للإيجاز والاختصار، وتارة للاكتفاء بعلم المخاطب، وتارة أخرى للاتساع، مع نصه على وجوب الدلائل الحالية أو المقالية له حتى يؤديه دوره البلاغي في الفهم والإفهام.[39]

7. الخروج على غير مقتضى الظاهر:

ونقصد من التعبير بإخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر، أن يكون ظاهر الحال يقتضيه على صورة خاصة، فيؤتى به على غير هذه الصورة؛ لأمر يعتبره المتكلم[40]، كالتعبير بلفظ الماضي عن المستقبل وعكسه واستعمال الطلب في موضع الخبر، والخبر في موضع الطلب، وغير ذلك مما يتجاوز أصل معناه ويمتد إلى معنى جديد، وسيبويه يتحدث عن عبارات لغوية تدخل في الدراسات البلاغية؛ لخروجها على غير مقتضى الظاهر مثل القلب، ووضع المفرد موضع العاقل...[41] و قد تحدّث علماء البلاغة عن النداء وخروجه عن أصله، وهذا سيبويه قد سبقهم للحديث عنه فيقول: "ذا باب ما يكون النداء فيه مضافا إلى المنادى بحرف الإضافة؛ وذلك في الاستعانة والتعجب، كقول مهلهل:

يا لِبَكْرَ انْشُروا لِيَ كُلَيْبًا يا لِبَكْرَ أَيْنَ الفِرَار

فاستغاث بهم؛ لأن ينشروا له كليبًا، وهذا منه وعيد وتهديد! ولا شك أن حمل النداء هنا على الاستغاثة عن سيبويه ظاهر الفساد؛ لأن الشاعر لا يستغيث بمن يهدده، وقد حمله النحاة على الاستهزاء فقال: "إنما يدعوهم ليهزأ بهم، ألا تراه قال: انشروا لي كليبًا"[42]، وسواء كان النداء هنا للاستهزاء، أو للاستغاثة، فإنه قد خرج عن أصل وضعه وقد نبّه سيبويه على هذا، وحروف النداء ثمانية: (الهمزة، وأيا، وأَيْ، آي، وهيا، وا، يا، والألف)، وذكر سيبويه من حروف النداء: (يا، وأيا، وأَيْ، وهيا، والهمزة)، ويرى أن الأخيرة لنداء القريب، والأربعة الأُول لنداء البعيد، أو الإنسان المعرض عنهم، أو النائم المستثقل، أو الشيء المتراخي فيقول: "وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة إذا كان صاحبك قريبا مقبلا عليك توكيدا"[43]، فالأدوات الموضوعة لنداء البعيد يجيز سيبويه استعمالها لنداء القريب لغرض بلاغي هو **التوكيد**.[44]

8. خاتمة:

بعد دراستنا لهذه المسائل في كتاب سيبويه توصلنا إلى النتائج التالية:

1- أن هذه المسائل البلاغية التي طرقها سيبويه في كتابه أثناء دراسته للتراكيب، تنم عن براعته في تحليلاته لمختلف الهيئات التي يكون عليها المقال.

2-هذه المسائل أصبحت فيما بعد أبوابا في كتب البلاغيين فكثيرا من العلماء الذين يعتد بهم في تاريخ البلاغة قد اغترف من هذا البحر الزاخر دون أن ينضب له معين، كعبد القاهر الذي يعترف بأنه استقي من كتاب سيبويه بعض مسائلة

البلاغة، قد استأنس بسيبويه في كثير من مباحثه كالتقديم والتأخير، والكلام المستقيم حسن، والمحال، والمستقيم كذب ...، وكلام سيبويه عن المسند والمسند اليه قد أوحي الى العلماء حصر علم المعاني في الأبواب البلاغية الثمانية المعروفة.

3- لسيبويه في البلاغة جهد مشكور، وبلاء موفور حيث ألقي بذورا طيبة في أرض خصبة نمت وترعرعت بمرور الزمان علي أيدي العلماء حتى بلغت تمام النضج على يدي عبد القاهر الجرجاني.

9. مراجع البحث:

أ/الكتب:

- **العربية:**

1. البغدادي عبد القادر، خزانة الأدب ولباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر،ط4، 1418هـ -1997م.
2. حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2018م.
3. الخالدي كريم حسين، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمّان، الأردن، 2006م، ط1.
4. سيبويه عمرو ين قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ-1988م.
5. السيرافي الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
6. عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، نهضة مصر، القاهرة، 1975م.
7. العسكري الحسن بن مهران، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.
8. محمد أحمد سعيد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي، الجامعة الأردنية، دط،دت.
9. محمد حسين السفير، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، دار الشؤون الثقافية، العراق، ط1، 1989م.
10. محمد حماسة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، مصر، ط1، 1420هـ-2000م.
11. محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي. الناشر الأطلسي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981م.
12. محمّد عبد المطّلب، البلاغة والأسلوبيّة، الهيئة العامّة للكتاب، دط، 1984م.
13. مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
14. نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء منهاج النظر اللغوي الحديث، دار البشير للنشر والتوزيع. الأردن، ط2، 1408 هـ-1987م.

ب/الرسائل الجامعية:

15. ابريز بشير، توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص الثانوية، بحث دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة عنابة، الجزائر، 1999-2000م.
16. عائشة برارات، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، 2009م.

ج/المقالات:

17. حاتم لطيف، الكلام المستقيم في النظر النحوي عند سيبويه (دراسة في المصطلح واستعماله)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية العراق، المجلد 8، العددان 3 و4، سنة 2005م.

د/المواقع الالكترونية:

18 . نجفي، سيد رضا، أثر سيبويه النحوي في نشأة علم البلاغة، مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، شماره 15، قسم اللغة العربية، جامعة أصفهان: *https://hawzah.net/ar/Article/View/90793*

9. الإحالات والهوامش:

1-ينظر: مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص203-205.

2 -محمّد عبد المطّلب، البلاغة والأسلوبيّة، الهيئة العامّة للكتاب، دط، 1984م، ص43.

3. -نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء منهاج النظر اللغوي الحديث، دار البشير للنشر والتوزيع. الأردن، ط2 ،1408هـ-1987م، ص 73.

4. -سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ-1988م، ج 1، ص 25 – 26.

5-السيرافي شرح كتاب سيبويه، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، القاهرة، ح2، ص89.

6-المصدر نفسه، ج2 ص 90.

7-حاتم لطيف، الكلام المستقيم في النظر النحوي عند سيبويه (دراسة في المصطلح واستعماله)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية العراق، المجلد 8، العددان 3و 4، سنة 2005م، ص 182.

8-السيرافي، شرح الكتاب، ج2 ص 93.

9-العسكري، الصناعتين، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العنصرية، بيروت 1419هـ، ص 70.

10-المصدر نفسه، ص70.

11- محمد حماسة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، مصر 1420هـ-2000م، ط1، ص99.

12-الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمّان، الأردن، 2006م، ط1، ص316.

13-سيبويه، الكتاب، ج1، ص 35.

14-محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، ص 186.

15-سيبويه، الكتاب، ج1، ص 120.

16-الحلواني، أصول النحو العربي، ص 186.

17-نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص 97 (بتصرف).

18.-سيبويه، الكتاب، ج1، ص 169 – 170.

19-ينظر: محمد أحمد سعيد الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1986م، ص61.

20. -سيبويه، الكتاب، ج1، ص 48.

21-محمد أحمد سعيد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه، ص61.

22-سيبويه، الكتاب، ج1، ص47.

23- المصدر السابق، ج1، ص 54 – 55.

24 -ينظر: ابريز بشير، توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص الثانوية، بحث دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة عنابة، الجزائر، 1999-2000م، ص49.

25 -سيبويه، الكتاب، ص22-27.

26 -محمد حسين السفير، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، دار الشؤون الثقافية، العراق، ط1، 1989م، ص46

27-عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، نهضة مصر، القاهرة، 1975م، ص113.

28 -سيبويه. الكتاب، ج2، ص 236.

29-عائشة برار، أغراض المتكلم الدرس اللغوي، رسالة ماجستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، 2009م.
30- المصدر نفسه، ج1، ص 39 – 40.
31 - عائشة ابرار،أغراض المتكلم في الدرس اللغوي، ص 62.
32- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 253.
33- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 257.
34 - المصدر نفسه، ج 3، ص 103.
35- سيبويه، الكتاب، ج1، ص462.
36 -سيبويه، الكتاب، ج1، ص354.
37 -المصدر نفسه، ص355.
38- المصدر نفسه، ص 317.
39- محمد أحمد سعيد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه، ص96.
40- حامدي عوني، المنهاج الواضح، ص135.
41-جفي، سيد رضا،أثر سيبويه النحوي في نشأة علم البلاغة، مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، شماره 15، قسم اللغة العربية، جامعة أصفهان
https://hawzah.net/ar/Article/View/90793
42- البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط4 ،1418هـ -1997م، ص261.
43- سيبويه، الكتاب، ص325.
44-نجفي، سيد رضا، أثر سيبويه النحوي في نشأة علم البلاغة
https://hawzah.net/ar/Article/View/90793